

في ذكرى وفاته     الإمام الشافعي العالم الشاعر الذكي



الاثنين 15 مارس 2021 01:27 م

حلت في آخر أيام شهر رجب ذكرى وفاة الإمام الشافعي رضي الله عنه في العام الرابع بعد المئتين من الهجرة النبوية الشريفة، فهيا بنا نتعرف على هذا العلم الذي ترك إرثاً فقهياً وعلمياً هائلاً:

الإمام الشافعي نسبه ومولده

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف   يلتقي الشافعي مع الرسول صلى الله عليه وسلم في جدّه عبد مناف، فالإمام الشافعي (رحمه الله) قرشي أصيل   أماً أمّه فإن أكثر من أُرِّخ للشافعي أو ترجم له قد اتفقوا على أن أمّه أزدية أو أسدية، فهي من قبيلة عربية أصيلة   وقد وُلِدَ بعزّة في شهر رجب سنة 150هـ/ أغسطس 767م، ولما مات أبوه انتقلت به أمّه إلى مكة؛ وذلك لأنهم كانوا فقراء، ولئلا يضيع نسبه، ثم تنقّل (رحمه الله) بين البلاد في طلب العلم   وكان الإمام الشافعي (رحمه الله) رجلاً طويلاً، حسن الخلق، محبباً إلى الناس، نظيف الثياب، فصيح اللسان، شديد المهابة، كثير الإحسان إلى الخلق، وكان يستعمل الخضاب بالحمرّة عملاً بالسنة، وكان جميل الصوت في القراءة  

ملاح من شخصية الإمام الشافعي وأخلاقه

سعة علم الإمام الشافعي وفقهه:

لقد عُرف الإمام الشافعي بالنجابة والذكاء والعقل منذ أن كان صغيراً، وشهد له بذلك الشيوخ من أهل مكة؛ قال الحميدي: "كان ابن عيينة، ومسلم بن خالد، وسعيد بن سالم، وعبد المجيد بن عبد العزيز، وشيوخ أهل مكة يصفون الشافعي ويعرفونه من صغره، مقدّمًا عندهم بالذكاء والعقل والحيانة، لم يُعرف له صبوة". وقال الربيع بن سليمان - تلميذ الشافعي وخادمه وراوي كتبه -: "لو وُزن عقل الشافعي بنصف عقل أهل الأرض لرجحهم، ولو كان من بني إسرائيل لاحتاجوا إليه".

تقوى الإمام الشافعي وورعه وعبادته:

وكما كان الإمام الشافعي (رحمه الله) إمامًا في الاجتهاد والفقه، كان كذلك إمامًا في الإيمان والتقوى والورع والعبادة؛ فعن الربيع قال: "كان الشافعي قد جُرِّأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام". وكان رحمه الله لا يقرأ قرآنًا بالليل إلا في صلاة، يقول المزني: "ما رأيت الشافعي قرأ قرآنًا قطُّ بالليل إلا وهو في الصلاة".

شيوخ الإمام الشافعي

شيوخ الإمام الشافعي بالمدينة: الإمام **مالك بن أنس**، وإبراهيم بن سعد الأنصاري، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، وإبراهيم بن أبي يحيى، ومحمد بن سعيد بن أبي فديك، وعبد الله بن نافع الصائغ  

وشيوخ الإمام الشافعي باليمن: مطرف بن مازن، وهشام بن يوسف قاضي صنعاء، وعمرو بن أبي سلمة صاحب الإمام **الأوزاعي**، ويحيى بن حسان  

شيوخ الإمام الشافعي بالعراق: وكيع بن الجراح، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفيان، وإسماعيل بن علية، وعبد الوهاب بن عبد المجيد البصريان  

تلامذة الإمام الشافعي

نخ على الإمام الشافعي كثير من الناس، في مقدمتهم أبو عبد الله **أحمد بن حنبل**، والحسن بن محمد الصباح الزعفراني، والحسين الكرابيسي، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وأبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وأبو محمد الربيع بن سليمان المرادي، والربيع بن سليمان الجيزي، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وأبو حفص حرملة بن يحيى بن عبد الله التجيبي، وأبو يوسف يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، وعبد الله بن الزبير الحميدي  

مؤلفات الإمام الشافعي

لم يُعرف لإمام قبل الإمام الشافعي من المؤلفات في الأصول والفروع والفقه وأدلتها، بل في التفسير والأدب ما عرف للشافعي كثرةً وبراعةً وإحكامًا؛ يقول ابن زُولاق: "صنف الشافعي نحوًا من مائتي جزء". ولقد كان في سرعة التأليف مع الدقة والنضج والإتقان أعجوبة منقطع النظير، حتى إنه ربما أنجز كتابًا في نصف نهارٍ يقول يونس بن عبد الأعلى: "كان الشافعي يضع الكتاب من غدوة إلى الظهر". ومن مؤلفاته رحمه الله:

كتاب (الرسالة) وهو أول كتاب وضع في أصول الفقه ومعرفة الناسخ من المنسوخ، بل هو أول كتاب في أصول الحديث وألّف كتابًا اسمه (جماع العلم)، دافع فيه عن السنة دفاعًا مجيدًا، وأثبت ضرورة حجية السنة في الشريعة وألّف كتاب (الأمم)، و(الإملاء الصغير)، و(الأمالى الكبرى)، و(مختصر المزني)، و(مختصر البويطي)، وغيرها.

منهج الإمام الشافعي

أخذ الإمام الشافعي بالمصالح المرسلة والاستصلاح، ولكن لم يسمها بهذا الاسم، وأدخلها ضمن القياس وشرحها شرحًا موسعًا وكذلك كان الشافعي يأخذ بالعرف مثل مالك وكان الشافعي يتمسك بالأحاديث الصحيحة، ويُعرض عن الأخبار الواهية والموضوعة، واعتنى بذلك عناية فائقة؛ قال أبو زرعة: "ما عند الشافعي حديث فيه غلط".

وقد وضع الشافعي في فن مصطلح الحديث مصطلحات كثيرة، لم يُسبق إليها، مثل: الاتصال، والشاذ، والثقة، والفرق بين حدّثنا وأخبرنا.

ما قيل عن الإمام الشافعي

قال المزني: "ما رأيت أحسن وجهًا من الشافعي، إذا قبض على لحيته لا يفضل عن قبضته". قال يونس بن عبد الأعلى: "لو جمعت أمة لوسعهم عقل الشافعي". وقال إسحاق بن راهويه: "لقيني أحمد بن حنبل بمكة، فقال: تعال حتى أريك رجلًا لم تر عينك مثله قال: فأقامني على الشافعي".

وقال أبو ثور الفقيه: "ما رأيت مثل الشافعي، ولا رأى مثل نفسه". وقال أبو داود: "ما أعلم للشافعي حديثًا خطأ".

من كلمات الإمام الشافعي

- طلب العلم أفضل من صلاة النافلة
- من ضحك منه في مسألة لم ينسها أبدًا
- من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق، كان كمن حضر الطاحون بغير قمح
- من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رُقّ طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

وفاة الإمام الشافعي

ألح على الإمام الشافعي المرض وأذابه السقم ووقف الموت ببابه ينتظر انتهاء الأجل وفي هذه الحال، دخل عليه تلميذه المزني فقال: كيف أصبحت؟ قال: "أصبحت من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله جلّ ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنتها، أو إلى النار فأعزتها"، ثم بكى. وقد دُفِنَ الإمام الشافعي (رحمة الله تعالى عليه) بالقاهرة في أول شعبان، يوم الجمعة سنة 204هـ / 820م وكان له ولدان ذكران وبنات، وكان قد تزوج من امرأة واحدة.